

التنشئة الاجتماعية للطفل العربي بين ثقافتَي الرفض والخضوع بحث في سوسيولوجيا التسكين والتمكين

أ.م.د. عبد الرزاق جدوع محمد
أ.م.د. محمود محمد سلمان
كلية التربية الأساسية / جامعة ديالى
كلية التربية الأساسية / جامعة ديالى

المقدمة :

من مهام المؤسسات التربوية تنشئة الطفل على ثقافة التمكين (الرفض) ، تلك الثقافة التي تجعله يقظاً ومدرّكاً لما له وما عليه ، ومتسلحاً بالوعي الاجتماعي الذي يمكنه من درء المخاطر ومواجهة الصعاب ، وتنمية النزعة التربوية الحرة التي تجعله يقبل الحق حتى وإن خالف ميوله وأهواءه ، وغرس بذور التطوع والابداع عنده والسماح له بطرح الكثير من الاسئلة ، ومكافأة العقل المتفتح لديه الراغب في الاستزادة من المعرفة والعلم . الى جانب ذلك تقوم المؤسسات التربوية بنبذ ثقافة التسكين (الخضوع) التي تتمحور حول ظاهرة الترجي والامتثال والطاعة . من اجل ذلك استلزمت ثقافة الرفض جملة مطالب بينها الوعي الاجتماعي الذي يجعل الفرد قادراً على الفرز الصحيح بين القيم الايجابية والسلبية ، وتوافق الفرد مع ذاته ، بحيث يكون صادقاً معها غير كاذب عليها ، بمعنى ان سلوكه لا بد ان يتطابق مع مبادئه الحقيقية ، والتحلي بالشجاعة في القول والفعل ، ومواجهة الذات ونقدها ومحاسبتها على ما تقول وتفعل .

وتعترض سبل المؤسسات التربوية في تنمية ثقافة الرفض تحديات تتمثل في القيم الاجتماعية التقليدية التي تدعم ثقافة الخضوع والطاعة من قبيل التهرب من المسؤولية الاجتماعية ، بسبب خوف الفرد من الفشل والاختفاق ، وعدم النظر الى العلم والبحث عن الحقيقة نظرة احترام وتقدير ، فالافراد في مجتمعاتنا يميلون الى الحصول على الحقائق الجاهزة دون البحث عنها بانفسهم ، وكذلك اساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة والمتمثلة باسلوب التسلط والاهمال والتدليل والتذبذب والتفرقة ، وكل هذه الاساليب تسهم في خلق شخصية خائفة خاضعة دائمة الاعتماد على الآخرين ، لا تستطيع ان تعيش الخبرات الصعبة والمؤلمة .

فضلاً عن ذلك هناك التزامت بالرأي بسبب عدم اندماج الفرد في المجتمع وعدم قدرته على التبادل الايجابي السليم والبناء مع افراد محيطه، فيكون محصوراً ضمن اطار دائرة مغلقة يعجز عن الخروج منها ، واذا تمكن من الاندماج الاجتماعي مع ابناء مجتمعه ، فإنه سيواجه معايير اجتماعية تحدد له ما يقوم به من اقوال وافعال سلفاً ، فيضيق من اجل ذلك نظره ، فلا يرى المتمزمت الا ما اعتقده وآمن به ، وما عداه فهو

يكرهه من غير تفكير وترو ، ذلك لانه اكتسب منذ طفولته قيماً وعادات وتقاليد ومعتقدات لا يحيد عنها ، ولا يجد فيها مخرجاً سوى الرضوخ لها والقبول بها .
نأمل ان تكون هذه الدراسة قميئة بالقبول من الوجهة العلمية ، والله من وراء القصد .

الباحثان

تتضمن هذه الدراسة أربعة محاور أساسية هي :
أولاً : التنشئة الاجتماعية للطفل وثقافة الرفض والخضوع
ثانياً : دور الاسرة والمدرسة في ترسيخ ثقافة الخضوع لدى الاطفال.
ثالثاً : المحددات الاجتماعية التي تدعم ثقافة الخضوع لدى الاطفال .
رابعاً: ثقافة الرفض بوصفها حلاً للاشكالية المطروحة .

أولاً : التنشئة الاجتماعية وثقافة التسكين والتمكين:
يهتم هذا المحور بتعريف مصطلحات التنشئة الاجتماعية وثقافة التمكين (الرفض) والتسكين (الخضوع) كلاً على انفراد ، ثم توضيح العلاقة بين التنشئة الاجتماعية وكلا النوعين من الثقافة ، فالتنشئة الاجتماعية كما عرفها احد علماء الاجتماع هي عملية تلقين الفرد قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعه الذي يعيش فيه ، بحيث يصبح متدرباً على اشغال مجموعة ادوار تحدد نمط سلوكه اليومي والتفصيلي ، وهناك من عرفها بانها تفاعل اجتماعي يكتسب الفرد من خلاله طرائق التفكير والسلوك الذي يمكنه من المشاركة الفاعلة في المجتمع (١) . نفهم من ذلك ان التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يخضع من خلالها الفرد إلى القيم الاجتماعية ، بحيث لا يستطيع الوقوف بوجهها او التمرد عليها ، وكل ما يستطيع فعله هو قبولها والسير بموجبها ومقتضاها (٢) .

اما التمكين (الرفض) فقد ورد في اللغة من مكنه من الشيء، أي جعل له عليه سلطاناً وقدره ، وأمكن الامر فلاناً ولفلان سهل عليه أوتيسر له فعله ، وقدر عليه (٣) ، وبهذا فالتمكين يعني التسهيل والتيسير .

وبمقاربة المعنى الدلالي لمفهوم التمكين وتوظيفه في ميدان الثقافة يساعدنا في اشتقاق بل نحت مصطلح ثقافة التمكين الذي يوازي الرفض والذي يعني نزعة عقلية لا تقبل إلا ما يقع في دائرة العقل ، وما يقبله العقل يجب ان يشتمل على حجته العقلية ، وبالتالي فان الفكرة التي تخسر حجتها تطرد من دائرة العقل . أما مصطلح التسكين لغة، فقد جاء من سكن سكونا ، أي قرّ وانقطع عن الحركة ، وتسكن صار مسكيناً ، واستكان استكانة واستكن خضع وذل ، والمسكين الذليل المقهور ، وسكنه منعه من الحركة (٤) وبهذا فالتمكين يعني الاخضاع والاذلال والقهر.

وبإسقاط هذا المصطلح على مفهوم الثقافة يمكننا من اشتقاق مصطلح ثقافة التسكين (الخضوع) التي تعني تلك الثقافة التي تتمحور حول مظاهر الترجي والامتثال والطاعة وتأخذ صفة انفعالية ، والفكرة التي يتمسك بها الفرد في مثل هكذا ثقافة تنتسل الى العقل وتسكن حجراته بشحناتها الانفعالية والعاطفية ، وإذا خرجت منه تتنافر مع فكرة أخرى تكون حجتها العاطفية اكبر ، والأفكار في ثقافة الخضوع تأخذ طابعاً ابوياً وأسطورياً ، لأن هذه الأفكار هي التي تمتلك الشحنة العاطفية الأكثر قدرة واقتدار (٥)

وبعد تعريف المصطلحات وتوضيحها علينا تناول العلاقة بين التنشئة الاجتماعية للطفل وثقافته الرفض والخضوع وهل ان التنشئة الاجتماعية تميل بالطفل في مجتمعاتنا العربية إلى رفض كل ما لا يقع في دائرة العقل ، وما لا يقبله العقل ؟ أو أنها تميل به إلى قبول كل ما يقع خارج نطاق العقل والتسليم به صحيحاً كان أم خطأ ؟

ولن نذهب بعيداً عن الحقيقة ان قلنا ان التنشئة الاجتماعية للطفل العربي هي أميل الى تنشئته على الطاعة دون اتاحة المجال له لابداء الرأي او المناقشة سواء كان ذلك في البيت ام في المدرسة ام في الجامعة ، ولنلمس ذلك جلياً في تعاملاتنا وفي ما نتداوله من افكار ، والدارس لادبيات علم الاجتماع يجد ان علماء الاجتماع يعتقدون ان الفرد والمجتمع ما هما إلا وجهين لحقيقة واحدة ، او كما قال "جارلس كولي" ان الفرد والمجتمع تؤامان يولدان معاً

فشخصية الانسان تسبك في قالب يضعها المجتمع ، ولذا ترى ابناء المجتمع الواحد متشابهين في كثير من صفاتهم الشخصية (٦) .

فضلاً عن ذلك فان معايير التفكير وقوانينه تؤخذ من مصطلحات المجتمع وتبنى على أساس قيمه وتقاليد ، ومن الصعب جداً ان تقنع امرأ ما على رأي يخالف ما تعود عليه من مصطلحات اجتماعية ، فالفرد يقيس الامور ويميز بين المعقول واللامعقول على أساس القواعد التي تلقنها في مجتمعه ، وبموجب ذلك فان العقل البشري لا يصغي إلى رأي ولا يفهمه او يقتنع به إلا إذا كان الرأي مستنداً الى نفس القواعد المنطقية المتغلغلة في أعماق نفسه (٧). ذلك ان التنشئة الاجتماعية قد صبت في عروقه قيم المجتمع بحيث تبلورت عنده شخصية المجتمع الكبير ، ومثلها تمثيلاً حقيقياً . بالإضافة الى تأثير المجتمع هناك ضغوط الظروف الاجتماعية والاقتصادية ، والخوف من الاعتداءات الداخلية والخارجية الى غيرها من العوامل والتي أدت الى ضيق عقل الطفل العربي وضموره ، فالثقافة عودت الطفل على اعطائه الحقائق جاهزة دون تعب او كد ، مما ضيق عنده حرية التفكير او البحث عن الحقائق لاكتشافها بنفسه ، لذا نجد أن مبدأ سلوك الطفل في مجتمعاتنا العربية هو (القبول) وان الرفض هو الاستثناء والقبول هو مؤشر خضوع واستسلام للفكر وهو دليل على نزعة عاطفية غير عقلانية (٨) .

وقد ألمح الانثروبولوجي "جون روبرت" وعالم النفس "بريان وسميث" الى هذه الحقيقة حينما ربطوا بين تربية الطفل والعابه ، سواء كانت هذه الألعاب تقوم على المغامرة مثل العاب (الكعب والطره) ، ام العاب تعتمد على خطة استراتيجية مثل (الشطرنج والكلمات المتقاطعة) ، او العاب تقوم على المهارة البدنية ، وقد وجدوا ان الألعاب التي تعتمد على المغامرة تسود في المجتمعات التي تحتل فيها المسؤولية مكانة عالية . اذ تمكن العاب المغامرة اللاعب من التعبير عن صراعاته ضد تحمل المسؤولية . اذ يجد في هذه الألعاب منفذاً من المسؤولية ، اما الألعاب الاستراتيجية فتسود في المجتمعات التي تؤكد الطاعة أولاً عند تنشئة الطفل ، وتعكس هذه الألعاب لهفة الطفل على عدم الطاعة فتمكنه هذه الألعاب من التعبير عن العدوان والعصيان ، وهما مظهران لعدم الطاعة ، اما الألعاب التي تعبر عن المهارات التي ينتشر فيها الثواب عن العمل فتعكس اسقاطات القلق الذي يتولد عن اساليب التنشئة الاجتماعية القاسية اثناء طور الطفولة (٩) .

ثانياً : دور الأسرة والمدرسة في ترسيخ ثقافة التسكين (الخضوع) عند الاطفال:

أ- امكانية الأسرة في ترسيخ ثقافة التسكين عند الأطفال :

تعاني الأسرة العربية من مشكلات تربوية لعل اهمها قتل بذور التطلع والابداع عند الطفل نظراً لأنزاعها من كثرة الأسئلة التي يطرحها. إذ يدفعه لذلك فضوله وانتباهه وبوجه خاص خاصية الاستزادة والتعلم فيسكتونه ، مع العلم بأن فضول الطفل وبحثه عن المعرفة بعدد عاملين من العوامل التكوينية الرئيسية في بناء الشخصية ، والصورة المثالية للطفل في المجتمع العربي ، تكمن في كونه (عاقلاً) و (محبوباً) يكتفي بطرح القليل من التساؤلات او الازعاجات (١٠) . وبما يعبر عن مضمون ثقافة الخضوع .

ومما يقتل الأبداع عند الطفل ايضاً قيام الأسرة بتعليمه نماذج السلوك ومنهج التفكير السائدة في المجتمع ، وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والقيم ، فلا يستطيع التخلص منها لأنه لا يعرف غيرها ولأنه يكون قد شب عليها ، وتكون بدورها قد تغلغلت في نفسه واصبحت من مكونات شخصيته (١١) . وقد أظهرت الدراسات العلمية ان سلوك الأطفال الخاضعين ناتج عن تعرضهم للعقوبات البدنية في بداية حياتهم (١٢) ، واذا فحصنا السلوك الذي يتبعه الخاضع ، فأننا سنجد انه يفضل الاشياء القديمة والمألوفة . ويشعر بالتهيب من تجربة اشياء جديدة ، ومن مقابلة اشخاص جدد ويجد صعوبة في اتخاذ قراراته ، ويندر ان يقاوم عند معاكسة الآخرين له ، ويبدو انه يفزع بسهولة ، ويخضع للسلطة دون تردد واعتراض (١٣) .

وابرز الجوانب التي تقوم بها الاسرة هو تدخلها من خلال نظام الممنوعات والمحرمات والمحظورات والتي تعد مقومات تكتسب طابع الالتزام لقاء اكتساب الطفل حق العضوية الاجتماعية والاعتراف به وقبوله ، وهذه المقومات تشكل قطاعاً هاماً

من البنية الفوقية المعيارية لهوية الطفل محددة توجهاته نحو ذاته والآخرين والعالم ، كما انها تحدد انتماءاته (١٤) ، وفوق كل ذلك تقوم الاسرة بصب شخصية الطفل في قالب يصعب بعد ذلك تبديله او تغييره ، فهو يفتح عينه للحياة ويجد انه قد أعطي منزلة عالية او واطئة من قبل أولئك الذين يحيطون به ، فهم يصدرن عليه حكماً حسناً او قبيحاً ويظلون يكررون عليه هذا الحكم . بحيث يتصور نفسه طبقاً لما تتصوره الجماعة المحيطة به ، وعلى هذا تبدأ شخصيته بالنمو تراكماً على هذه النواة المركزية ، نواة النفس الناشئة (١٥) . ويعتقد "جان بياجيه" ان نظام الطاعة والخضوع لدى الاطفال الذين هم دون سن السابعة او الثامنة يتكشف عبر ردات افعالهم للاحكام والمواقف الخلقية الصادرة عن اهاليهم ، ففي هذه المرحلة يرضخ الاطفال لاوامر اهاليهم ، او من ينوب عنهم طالما ان الشخص الذي يصدر تلك الاوامر اليهم ماثل امامهم ، وفي غياب ذلك الشخص يفقد القانون فاعليته، وتؤدي مخالفته الى انزعاج ليس بذوي بال (١٦) .

ب- دور المدرسة في ترسيخ ثقافة التسكين لدى الاطفال :

تكمل المدرسة الدور الذي تؤديه الأسرة في معاقبة العقل المتفتح المتوثب الراغب في الاستزادة من المعرفة والعلم ، ففي المدرسة كما كانت الحال في البيت يتعلم الطفل ثم اليافع والشاب ومن ثم الراشد الرضوخ للسلطة والاقتراء بالآخرين والامتثال الخضوعي الاعمى لقيم المجتمع ، والادهى من ذلك يكمن في ممارسة المدرسة لعملية التسلط الفكري المباشر عن طريق التلقين (الحفظ) وقطع الطريق عن كل محاولات التلميذ في مجال التساؤل والحوار ، إذ انه لا يقتصر على المدارس الابتدائية بل ينتقل اثره الى الحرم الجامعي ، وطريقة التعليم هذه تعد السبب الرئيسي المسؤول عن عجز الثقافة في المساهمة في بلورة الشخصية الفردية رغم حصول الفرد على اعلى الشهادات التعليمية ، والاكثر من ذلك فأن اسلوب التعليم يغلق الباب امام أي تساؤل او حوار بحيث لا يجرؤ احد من التلاميذ على طرح سؤال او ابداء رأي مختلف (١٧) .

وهكذا تتجه التربية المدرسية الى تثبيط الطفل عن ان يفكر لنفسه لكي تزقه الافكار الجاهزة زقاً ، وليس في هذا عسر بالغ . إذ ان رؤوس الاطفال تكون فوارة بحب الاستطلاع عن العالم وعلاقتهم به ، لأنهم يريدون ان يكتشفوه ويمتلكوا ناصيته مادياً وعقلياً ، انهم يريدون ان يعرفوا الحقيقة ، وبدلاً من ان تلبى نوازعهم هذه فانهم لا يحملون على محمل الجد ، وامر كهذا يزرع فيهم الاحساس بالخيانة عندما يكبرون ويكتشفون ان المدرسة علمتهم ما ينفية العلم ويكذبه الواقع (١٨) . ويؤكد " عبد الرحمن الكواكبي " في كتابه طبائع الاستبداد على ان التربية القائمة على التسلط والقهر تجعل الفرد خاملاً خامداً ضائع القصد ، لذا فالواجب تربيته على الاقتناع بدل الترغيب والترهيب وفسح مجال الحرية بينه وبين المعلم ، فالتعليم مع الحرية افضل

من التعليم مع الوفاق ، وعلى ذلك فان التربية المقصودة التربوية المترتبة على اعداد العقل للتمييز والفهم والهمة والعزيمة (١٩) .

ويمكن القول ان السلطة التربوية في مجال التعليم التي تسود المدارس الابتدائية والثانوية ، ما زالت تحمل الطابع التقليدي ، الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر ، وهو الطابع الذي يتمثل في المفاهيم التقليدية التي تتمثل في المحافظة على التقاليد وعلى البنى والمناهج الجامدة دون تغيير او تبديل ، فوظيفة الطفل في نظامنا التعليمي ان يتعلم وان يخضع ، والمعلم يعطي دروسه في الصف ، والاطفال يؤدون التمارين التي تطلب منهم ، والنظام لا يوجد فيه تنوع ، فالمعلم يأمر والأطفال يطيعون او بالأحرى يخضعون وأذا لم يخضعوا فأنتهم يتعرضون لعقاب القوانين المدرسية الصارمة ، وبالتالي فإن الخوف من هذا العقاب يدفعهم الى جادة الصواب والخضوع (٢٠)

ثالثاً : المحددات الاجتماعية التي تدعم ثقافة التسكين (الخضوع) لدى الاطفال
١- القيم الاجتماعية التقليدية :

ان المجتمع العربي مثقل بقيم الماضي ويعيش في اطلاله ولسنا نعني بذلك ضرورة انكار الماضي والعزوف عن التلقت اليه ، ففي الماضي تراث انساني يجب على الفرد استيعابه والاغتناء به كي يتمكن من فهم الحاضر والمستقبل ومن صنعهما بشكل واع ، انما يجب التلقت في سبيل الادراك والمعرفة والتماس القيم الايجابية الدافعة ، لا تفتناً ينطوي على مجرد التلعت والمغامرة والاستعلاء فيستهوي النفوس ويشل فاعليتها بما يبيت فيها من رضى واكتفاء ، وهذا النوع السلبي من التلقت التاريخي يجعل من الامجاد الماضية مصدر علة وسوء بدلاً من ان تكون مبعث اقدام وتجدد وحيوية فاعلة (٢١) .

ومن القيم التقليدية المتجذرة في المجتمع والتي ورثها الفرد منه هي قيمة التهرب من المسؤولية ، وبدل ان يكون للفرد شعور واعٍ ومدرک لالتزاماته تجاه مجتمعه والتي تدفعه الى العمل والتضحية بالغالي والنفيس من اجل تقدم مجتمعه والذود عنه (٢٢) ، اذا به يتنصل من المسؤولية نظراً لخوفه من الفشل ، وعدم اقدامه إلا في حالات نادرة على دراسة فشله دراسة موضوعية تمكنه من معرفة الاسباب الحقيقية التي ادت الى الفشل مع العلم بأن دراسة الفشل دراسة موضوعية تعد بداية النجاح ، بالاضافة الى ذلك فإن القيم التقليدية تتجسد في عدم النظر الى العلم والبحث عن الحقيقة كقيمة حضارية عليا ، فالعلم والبحث العلمي يهدف الى نمو العقل وصقل الشخصية، والمؤسسات العلمية كالجامعات والمعاهد هي المراكز العلمية المثلى لترسيخ منهج البحث العلمي عن الحقائق ، فالحقيقة ليست الهدف بمقدار ما هو تعلم ما يسمى بالمنهج العلمي الهادف للتقصي عن الحقيقة (٢٣) ، ويبدو أن السبب في ميل الطلبة الى الحقيقة دون البحث عنها هو اسلوب التلقين والحفظ المتبع في غالبية المدارس ، ولذا اصبح كثير من الطلاب يجنحون الى الاعتماد على الذاكرة في

دراستهم ، ويتقبلون ما يقرأونه دون نقد أو تحليل ، وتحول التعليم الى مجرد حفظ وتكرار آلي للحقائق المحفوظة بدلاً من كونه أداة لتنمية الذكاء والتفكير العلمي (٢٤) . ومثل هذا يتطلب ثقافة الرفض التي تسعى الى نبذ القيم التقليدية المعوقة لنمو الطفل وتربيتهم على قيم جديدة كقيمة الشجاعة في القول والفعل ، والتي سبقت الإشارة إليها (٢٥) لكن الدراسات العلمية تكشف لنا ان اساليب التعليم القسرية تغلق الباب امام التساؤل والحوار بحيث لا يجرؤ الطفل على ابداء رأي مختلف ، فيلجأ الى طرق ملتوية ينتج عنها اضطراب نمو شخصيته وعقله (٢٦) وكذلك تربية الطفل على حرية الرأي ، اذ ان حرية الرأي والتفكير تكون مكسباً حقيقياً في حالة واحدة فقط ، هي ان تكون اوضاعنا النفسية حرة بحيث نستطيع ان نؤسس فردية الطفل ونمنحه قدراً من الحرية ، ولكن هذا ليس هو الحال دائماً ، فهناك مواحق لعملية التأسيس مصدرها القيم التقليدية التي تسلب الطفل حقه في اختيار افكاره الخاصة وتقوده الى التوافق القسري (Compulsive conformity) مع الواقع الاجتماعي الامر الذي يؤدي الى جمود المجتمع ، وبموجب هذا النوع من التوافق يتحول الانسان الى كائن آلي يفقد روحه (٢٧).

٢- اساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة :

أ- اسلوب التسلط :

ويتمثل في فرض الام او الاب لرأيه على الطفل ، ويتضمن الوقوف امام رغباته التلقائية ، او منعه من القيام بسلوك معين لتحقيق رغباته التي يريدتها حتى ولو كانت مشروعة ، وهذا الاسلوب يخلق شخصية خاضعة خائفة من السلطة تشعر بعدم الكفاءة والحيرة ، غير واثقة من نفسها خصوصاً في المواقف التي فيها اختيار ، وحين يكبر الطفل يكون في عمله دائم الاحتمال الا في وجود السلطة ، ومثل هذه الشخصية غالباً ما تتعدى على ممتلكات الغير وترتكب اخطاءها في غيبة السلطة ، اما امام السلطة فتكون خائفة مذعورة (٢٨) ، ويبدو ان السبب في ذلك هو ان العلاقة بين الوالدين والطفل قائمة على مبدأ الطاعة ، وتكون هذه العلاقة عمودية ويعمد الوالدان على تخويف الطفل عن طريق قصص خيالية مخيفة ترعب الطفل وتجعله فاقد الأمل في الحياة خائر القوى محبطاً لا يستطيع فعل شيء يذكر (٢٩) . ويعد هذا الاسلوب التربوي الخاطئ احد اهم اساليب التنشئة الاجتماعية التي تؤدي بالطفل الى الخضوع لكل اشكال السلطة .

ب - أسلوب الحماية الزائدة :

تفرط الأسرة العربية في حماية الطفل من شتى المخاطر التي لا بد ان تعترض سير حياته ، وحتى انها تعيش بدلاً عنه الخبرات الصعبة المؤلمة التي عليه ان يعيشها كي يتمكن من تجاوزها فيغتنى بذلك رصيد خبراته الشخصية، وتتبلور بالتالي استعداداته وميوله الفردية ، واطغر ما في الحماية الزائدة انها تعطل تلقائياً

دور النمو الطبيعي ، كما انها تولد عند الطفل الاتكالية والشعور بالعجز والقصور ، مما يدفعه لا شعورياً في طريق الخوف من المسؤولية والتهرب من امكانية تحملها (٣٠) ، والطفل الذي يعيش ويتفاعل مع هذا السلوب ينمو بشخصية ضعيفة خائفة غير مستقلة ، تعتمد على الآخرين في قيادتها وتوجيهها (٣١) ، وترجع الحماية الزائدة الى رغبة الام على غير وعي منها غالباً في ابقاء الطفل معتمداً عليها ، فهي التي تلبسه ثيابه ، وتساعده في قضاء حاجته وتنظيف جسده ، على حين يكون الطفل السوي قد تعلم منذ امد طويل كيف يعتني بنفسه في كل هذه الجوانب ، والطفل الصغير المحاصر بهذه المشاعر كثيراً ما يظهر غضبه تجاه امه لانها لم تمنحه الاستقلال والحرية (٣٢) .

وهذا يفسر لنا عجز الفرد في مجتمعنا وعدم قدرته على تحمل المسؤولية ، لانه محاط بالحماية من مبدأ حياته الى ان يبلغ الاربعين سنة من عمره ، او احياناً الخمسين سنة ، فهو ينشأ ويكتمل بلوغه ويتزوج وينجب وهو في كنف اسرة والده ، وبذلك يكون الفرد متأثراً ، لا مؤثراً ، قدرته على الاخذ تفوق قدرته على العطاء .

ت- أسلوب الإهمال :

ويتمثل في ترك الطفل دون تشجيع على السلوك المرغوب فيه او دون محاسبته على السلوك المرغوب عنه ، بالإضافة الى تركه دون توجيه ، وينتج هذا الأسلوب عن عدم التوافق الأسري الناتج عن العلاقات الزوجية المحطمة وربما لعدم رغبة الأم في الأبناء (٣٣) ، وللإهمال صورتان : أولاها : اللامبالاة ازاء الطفل ، وعدم اشباع حاجاته الفسيولوجية والنفسية الضرورية ، ومثال ذلك حينما يبكي الطفل الرضيع من الجوع او طلباً للنظافة ، فتتركه الأم ولا تستجيب لبكائه و ثانيتهما : عدم الاثابة على السلوك المرغوب فيه وعدم المحاسبة على السلوك غير المرغوب فيه ، كأن يقدم الطفل لأمه انجازاً ما فلا تشجعه بل قد تسخر منه وتسبب له الأرباط (٣٤) . بالإضافة الى ذلك فان غياب الآباء لفترات طويلة عن الطفل اما لاسباب تتعلق بالعمل او الدراسة ، او أي مجال آخر يؤدي الى عدم متابعة الطفل ، فالطفل يسرح ويمرح ويفعل ما يحلو له دون وجود رقابة من الابوين ، فينتج عن ذلك ان يتعود الطفل على السلوكيات الخاطئة ، فيضعف من اجل ذلك ضميره ، و يتحول الى انسان غير فاعل في الحياة ، بل ربما يكون عبئاً على المجتمع اذا ما قام بافعال تخالف القيم الاجتماعية والقوانين .

ث - أسلوب التدليل :

ويتمثل هذا الأسلوب في تشجيع الطفل على تحقيق رغباته على النحو الذي يحلو له ، وعدم تشجيعه لتحمل أي مسؤولية تتناسب مع مرحلة النمو التي يمر بها ، وقد يتضمن هذا الاتجاه تشجيع الطفل على القيام بسلوكيات تعد عادة غير مرغوب فيها وحتى الدفاع عنها ضد أي نقد يصدر من الآخرين (٣٥) . ويترتب على هذا

الأسلوب شخصية قلقة مترددة تتخبط في سلوكها بلا حدود ، متسببة كثيراً ما تفقد ضوابط السلوك المتعارف عليها ، وبذلك فإن الطفل المدلل ، غالباً ما ينمو مستهتراً في كبره ، غير محافظ على مواعيده ، ولا يستطيع تحمل أي مسؤولية يعهد بها اليه (٣٦) .

وهذه السلوكيات لا تتفق وسمات الشخص المعتمد على ذاته المدرك لجسامة المهام المناطة به . وقد سبق ان شجع العالم (سيجموند فرويد) الامهات على تقبيل الصغير ومداعبته ، ولكنه حذر من المبالغة في ذلك ، فالحنان المبالغ فيه قد يوقظ احساس الطفل بشكل مبكر ، ويجعل من الصعب ارضاء حاجاته للمحبة فيما بعد (٣٧) .

ج - أسلوب التذبذب :

يتمثل أسلوب التذبذب في عدم استقرار الأبوين في استخدام اساليب الثواب والعقاب وهذا يعني ان سلوكاً معيناً يثاب عليه الطفل مرة ويعاقب عليه مرة اخرى ، ويتمثل هذا الاتجاه ايضاً في حيرة الأم أزاء سلوك الطفل ، بحيث لا تدري متى تنبيه ومتى تعاقبه ، وايضاً التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم في تنشئة الطفل وتطبيعته اجتماعياً (٣٨) ، ويترتب على هذا الأسلوب شخصية متقلبة ازدواجية منقسمة على نفسها ، فالطفل الذي عاش التذبذب في معاملته يكبر وغالباً ما يصبح مذبذباً مزدوج الشخصية هو الآخر في معاملته مع الناس (٣٩) . اذ يظهر من السلوكيات خلاف ما يبطن وينتج عن ذلك ان تكون شخصية الفرد خائفة في الظاهر رافضة في الداخل ، وهذا خلاف ما تقتضيه ثقافة الرفض .

ح - أسلوب التفرقة :

يتمثل هذا الأسلوب في تعمد عدم المساواة بين الأبناء جميعاً والتفضيل بينهم بسبب الجنس او ترتيب المولد او السن أو أي سبب آخر (٤٠) ، ومن الامثلة على ذلك تفضيل الذكر على الانثى ، او تمييز الولد الاكبر عن اخوانه في المأكل والملبس والمصروف ، ويترتب على هذا الأسلوب شخصية أنانية تعودت أن تأخذ دون ان تعطي ، وتستحوذ على كل شيء لنفسها او على افضل الاشياء ، شخصية تعرف ما لها ولا تعرف ما عليها (٤١) ، ويبرز اسلوب التفرقة ايضاً في المدارس حيث بينت بعض الدراسات ان كثيراً من الاطفال يعززون كراهيتهم للمعلمة لانها تفضل ابناء الاغنياء على ابناء الفقراء وكأنما لا يكفي الطفل ما يعانيه من فقر حتى يتعرض الى اضطهاد آخر بسبب هذا الفقر (٤٢) . فالتربية وفق هذا الاسلوب تنتج شخصيات لا تميز بشكل موضوعي بين ما هو صحيح وما هو خاطيء ، لذا فهي قد تقبل ما هو مرفوض وترفض ما هو مقبول ، كما تنتج شخصيات انانية حاقدة ، فتتعود الاخذ دون ان تتعود العطاء ، تستحوذ على كل شيء لنفسها حتى ولو على حساب الآخرين ، شخصيات مريضة لا ترى الا ذاتها دون اعتبار لواجباتها هي نحو الآخرين (٤٣) .

٣- ضعف العقلانية في التفكير والتصرف :

يصف (علي زيعور) التربية الانفعالية للطفل في المجتمع العربي قائلاً " تلجأ الأم العربية الى التخويف بالأب والحيوانات والجن كي ينام الطفل او يطيع او يهدأ ، ومن ثم ينتقل من التخويف الى التهديد بالضرب والعصا . وبالمعلم اخيراً ، فالمدرسة العربية مكان للتأديب وتطويع الطفل على الطلب لكي يكون مؤدباً فاتراً ، مطيعاً ، سلبياً ، فالتربية اذن لا تعد الطفل لكي يقارع ويناقش بمقدار ما تنمي فيه الألتواء والأزدواجية والاعتماد على الكبار ، وفيما يتعلق بالأدوات تكون العصا والأب والحيوان والشيطان ادوات قمع للطفل ومثيرات للرعب تؤدي في النهاية الى قتل روح النقد والابداع وأغتيال الحرية في نفوس الناشئة (٤٤) ، بالإضافة الى ذلك فإن الأسرة تسهم في تربية الطفل على صورة الآخرين (التقليد المفرغ من أي شكل ابداعي) فهي تلحق اشد العقاب بكل ابتكار وتجديد يقوم به الفرد ، بينما تكافئ كل نشاط يمثل ما هو مبتذل انما مقبول من قبل المجتمع الاكبر بدلاً من تشجيع كل نشاط ينم عن خلق وابداع فرديين (٤٥) ، ويرجع تسلط الأسرة الى شيوع المواقف غير العقلانية والخرافية في صفوف غالبية الناس ، الأمر الذي يؤدي الى سيطرة الوضع القائم على الناس ومجابهة التغير الاجتماعي ، ذلك ان ذوات الافراد هي ذات منشأ اجتماعي وبناءً على ذلك فان العقلية العلمية التي تفسر الظواهر بأسباب موضوعية تخضع للدرس والتجربة ، لم تتجذر بعد في الفرد العربي ، فالعقلية السحرية ما تزال فعالة على نطاق واسع ولم تنظم العقلانية النشاطات الفردية والاجتماعية (٤٦) .

٤- التزمّت في الرأي :

من العوامل الاجتماعية التي تؤدي الى التزمّت في الرأي لدى الفرد منذ نشأته الاولى ، هي الاسرة ، فالاسرة التي لا تشجع الطفل على الاندماج في المجتمع ، ولا تنمي قدرته على اقامة التبادل الايجابي السليم والبناء مع افراد محيطه وترتبط به عبر علاقة يشوبها الغموض والتعقيد اللذان يكتبلان انفتاحه الحيوي وبالتالي نموه وتطوره ، إذ يجد نفسه محصوراً ضمن اطار دائرة مغلقة يعجز عن الخروج منها ليسلك طريق الاستقلالية الفردية وتأكيد الذات ، وبناءً على ذلك يجد الطفل صعوبة من حيث القدرة على الارتباط بمن يحيط به من اشخاص عبر علاقة ايجابية بناءة ، خصوصاً وان من شأن صعوبات الحياة ، والتي تعترض سير نموه ان تنثير مشاعر الحرمان عنده . اضافة الى ذلك فان عدم المساواة بين الزوجين في الاسرة وبالاخص سيطرة الاب المطلقة كذكر المسؤول الاول عن خلق ما يعزز الصعوبة عند الطفل في اتاحة تبادل اجتماعي وثقافي سليم ، لان تباعد كل من الوالدين عن بعضهما يتم على حساب الطفل نظراً للصورة السلبية التي يقدمها له كل منهما عن الآخر (٤٧) . واشباع حاجة الطفل باتاحة الفرصة له بالاتصال بغيره من الاصدقاء في مثل سنه تقريباً وتحت رقابة الكبار وارشادهم ، امر بالغ الاهمية في نموه الاجتماعي والخلقي . إذ يتعلم الاخذ والعطاء كما يتعلم ان يكيف نفسه للآخرين . ويكتسب الخبرات الضرورية التي تعودته التحمل وصلابة العود وعدم الانانية ، ويكتسب من اصدقائه المستويات المعقولة في

العمل واللعب والسلوك العام (٤٨). وثاني العوامل الاجتماعية التي تؤثر في ترمت الرأي هو المجتمع ، فالطفل عندما يفتح عينه للحياة وهو صغير يبدأ المجتمع بالايحاء اليه بأنه فلان ابن فلان وانه جزء لا يتجزء من المجتمع وان الواجب عليه ان يقول كذا او يفعل كذا ، وبهذا فهو ينشأ وهو كالمنوم ينظر الى نفسه كما ينظر الناس اليه ويقوم بما يجب ان يقوم به حسب ما اوحى اليه الجماعة التي يعيش فيها (٤٩) . فالرأي المتفتح لابد ان يصدر عن تفكير هادىء ومنطق سليم ولا يصدر عن تقليد من غير نظر ، او عقيدة من غير تفكير ، او تلقين من غير بحث .

وثالث العوامل الاجتماعية المؤثرة في التزمى بالرأي هو ضيق النظر فلا يرى المتزمى الا ما اعتقده او تلقنه ، اما ماعده ، فهو يكرهه من غير تفكير ومن غير ان يصغي الى حججه ، فقد وضع امام عينه ما اعتقد ، ولن يرى أي شيء ما عده ، فمهما قال مخالفه فهو باطل قبل ان يدلي بحججه ، ومهما قال مؤيده فهو حق ولو لم يأت ببرهان . ورابع العوامل الاجتماعية هو حبه القوي لغلبة فكرته او عقيدته وهزيمته لأراء المعارضة واندحارها ، ليس عنده أي شيء من التسامح فيما يخالفه من آراء . وخامس العوامل الاجتماعية هي الغيرة والحماسة التي تجعل صاحبها لا يقدر ما ينزل بالآخرين من آلام ولا ما يحل بهم من كوارث ، فلا يرى الا تحقيق فكرته مهما ألم الناس ، وتطغى رغبته في تحقيق الفكرة على كل ما لديه من عواطف (٥٠) وسادس العوامل الاجتماعية المؤثرة في الرأي المتزمى عند الفرد هو التمسك بنوعين من القيم . فالفرد في مجتمعاتنا ينشأ وهو متمسك بقيم القوة والبسالة والاباء والشجاعة والكبرياء الى جانب تمسكه بقيم الكدح والصبر واداء الضريبة والخضوع والتباكي ، وهذا الصراع القيمي يؤثر في الشخصية ، فالفرد تارة يؤمن بالغلبة ويتباهى بها وتارة اخرى يئن من سوء حظه ويتشكى من ظلم الناس له . ولعلنا لا نخطئ اذا قلنا ان الفرد يكون خاضعاً (مازوكياً) عند مواجهة من هو اقوى منه ، بينما هو يكون غضوباً اذا واجه ضعيفاً (٥١) .

استنتاج وتفسير

مما تم عرضه في المحورين السابقين يتبين ان الاسرة والمدرسة خير من تمثلان ثقافة المجتمع المتبناة ، تلك الثقافة التي تقوم على مبدأ الاخضاع لا الاقناع ،التسيير لا التغيير ،اذ لو تفحصنا آلية التنشئة الاجتماعية للأسرة العربية نجد انها تمارس ضغوطاً متعددة على الطفل العربي على وفق الكيفية التي تجعله مستسلماً صاغراً مذعناً لأوامر الاسرة ونواهيها دونما اعتراض او رفض او تمرد. اذ تعاملت الاسرة العربية مع الطفل العربي بوصفه رجلاً صغيراً ، واصبحت اساليب الاعداد الاجتماعي خاضعة لمزاجية الكبار واحتياجاتهم ، لا لمزاجيات الصغير واحتياجاته . فضلا عن انها اعتمدت وسائل القسر والقهر والاكراه والاخضاع في نقل الثقافة الى الطفل دون مراعاة لمبادرات الطفل الشخصية ،وارضاءاته اللبديية ، وحرية وبما يعوق قدرات الطفل وملكاته امام التفرد و الابتكار والابداع .

لكل ذلك نجد الطفل العربي صورة مرسومة مسبقاً ومكررة عن الاهل الذين هم بدورهم صورة مكررة عن الذين سبقوهم . وكأننا بهذه الآلية التنشئية نعمل على صب الطفل العربي في قالب الافكار التقليدية المسبقة ، واعادة انتاج انماط محددة سلفاً ، وبما يمكن ان نطلق عليه الاستنساخ الاجتماعي .

وفي ظل ثقافة التسكين تنزع الاسرة نحو التشديد على العضوية لا على الاستقلال الفردي ، وان الجيل الجديد ينخرط حكماً في الحياة الاجتماعية على اساس قيم الجيل القديم الامر الذي يجعل التغير الاجتماعي بطيئاً محدوداً . وفي ظل هذه الثقافة على الطفل العربي ان يتمثل القيم الثقافية لاسرته على عواهنها، دونما اختيار او نقد او تمحيص . وان الاسرة العربية غالباً ما تعتمد الى كبح جماح مرغوبات الطفل التي ينشد راحتها فيها . وتتعامل هذه الثقافة مع الاطفال بوصفهم ممتلكات شخصية للوالدين ، وتعلمهم الرضوخ والاقتراء بالآخرين ، والامتثال لقيم المجتمع بأسلوب صاغر ، بعيداً عن المناقشة والحوار ، كما تمارس الارهاب الفكري على ابنائها . وما تزال مقولة "الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون" لها صدى في نطاق الاسرة العربية ، تعبيراً عن مدى تأثير الآباء في تحديد مستقبل ابنائهم .

ومما تنتج ثقافة الخضوع التي تمارسها الاسرة العربية على ابنائها ، سيادة الاتكالية والعجز والهرب والاستغابة ، والامتثال والخضوع في حالة وجود السلطة وعدم الازعان في غيابها — المراهبة لا المرغبة — فضلاً عن تحويل الطفل الى كائن تراثي بأعتماد الاتجاه السلفي في اعداده .

ولم يكن دور المدرسة في تنشئة الطفل العربي بأفضل حالاً من الاسرة في ظل ثقافة الاخضاع ، اذ اضحت المدرسة العربية مؤسسة لمنح الشهادة والمؤهلات لا المعارف والمعلومات ، واصبحت تركز على الجوانب الاعلامية لا العلمية كما ان المدرسة العربية ما تزال تعتمد مبدأ الحفظ والتلقين دون الفهم والتفكير ، فهي تلقم الطفل المعلومات - تلقيناً - دونما تعليمه النقد والتفكير — تعليم المتعلم كيف يتعلم — . هذا وما تزال العلاقة بين المعلم والمتعلم (الطفل) تسلطية استبدادية تسير في اتجاه واحد . وان المعلم هو محور العملية التعليمية ، في الوقت الذي ينبغي ان يكون الطفل محور العملية التعليمية لانه هدفها ومنتجها . الى جانب ان الطفل ما يزال متلقياً سلبياً ، مستمعاً لا مشاركاً ، تملأ عليه المعلومات إملاءً ، وما زالت طرائق التدريس الترددية الببغاوية الملائية هي السائدة . فضلاً عن اقتصار التدريس على الاساليب التنظيرية — التجريدية — لا العملية- التجريبية —وبما يحول الطفل الى انسان غير واقعي — حالم مخيال - .

هذا اذا لم نشر الى ان المناهج والمقررات الدراسية تنتمي الى ثقافة سلفية — ماضوية — لا تتناسب وإيقاعات العصر من التحولات الاجتماعية — فكرياً وتقنياً — الى جانب عدم إيلاء التربية المدرسية القدرات والامكانات المتميزة الاهتمام اللازم وانما تسير بكيفية تكرارية اجترارية ، وبما انعكس سلباً على حالات الابداع والابتكار . فكم

من عبقریات وإمكانات فذة قضي عليها ، وانطمست أو انحرقت عن مسارها نظراً لغفلة المجتمع عنها .

اذن في ضوء ما تم بيانه يمكن القول ان الاسرة والمدرسة تجسدان ثقافة الطاعة والخضوع قلباً وقالباً ، وبما حول الطفل العربي الى كائن خامل مشلول القدرات والطاقات ، لا يلوي على فعل شيء سوى الرضوخ والاستكانة استجابة لثقافة قيده ومنعته من ان ينطلق ويبلغ في الفعل مده .

رابعاً : ثقافة التمكين بوصفها حلاً للاشكالية المطروحة .

من خلال ما تم عرضه والاستنتاج الذي تم التوصل اليه من ان الاسرة والمدرسة خير من تنفذان ثقافة الطاعة والخضوع على الطفل العربي ، وبما يفرغه من مضمونه ومحتواه ، وتنايان به عن روح المبادأة والمبادرة والابداع ، وتحويله الى كائن عاجز مشلول لا يمتلك الا ان يستسلم لكل ما تصدر اليه من اوامر ونواه ، هنا لا بد من وقفة تأمل وتحسب لما قد يحصل لمجتمع تسيره وتحكمه ثقافة الاستنساخ الاجتماعي والركون الى الماضي ، امام ثقافة العولمة والتغيير التي تسير بكيفية حاسمة تضعف فيها فرص المهادنة والمساومة . نقول لحل هذه الاشكالية لا بد من نبذ ورفض ثقافة التسيير واعتماد وتبني ثقافة التغيير التي تتيح للطفل العربي فرص الاكتشاف والابداع وخوض معركة العولمة من خلال الاسهام والمشاركة فيها بالكيفية التي تجعلنا قانعين لا مرغمين أو خاضعين ، وفاعلين لا عاجزين .

ولعل الخطوة الوئيدة بهذا الاتجاه تكمن في تبني ثقافة التمكين (الرفض) ، ونبذ ثقافة التسكين (الخضوع) ، على ان لا يفهم الرفض بوصفه الغاء وانسلاخاً من ثقافتنا التي تتوفر على الكثير من محددات الاصاله والابتكار ، انما الرفض لمواطن الضعف والنكوص ، وتفعيل مواطن القوة والانطلاق ، تماشياً مع ايقاعات العصر الذي نعيشه ونحياه .

ان مثل هذه الثقافة – ثقافة الرفض – لها اهميتها الحاسمة في جعل الفرد كائناً اجتماعياً فاعلاً ، ومتفانياً في خدمة قضايا المجتمع ، وخدمة المجتمع لا تعبر عن نفسها في جانب او جانبيين وانما تعبر عن نفسها في عدة جوانب اهمها تسليح الفرد بالوعي الاجتماعي الذي تتطلبه ظروف المجتمع ، وتوافق الفرد مع ذاته ، وتدريبه على الاقتراب من الذات كي يتطابق قوله مع فعله ، وتعليمه كيفية التحلي بالشجاعة بالقول والفعل ، واخيراً حثه على مواجهة الذات ونقدتها وتقويمها على الفعل الحسن من خلال محاسبتها في كل وقت وحين ، والان علينا دراسة متطلبات ثقافة التمكين (الرفض) المتمثلة بالاتي :

الوعي الاجتماعي والالتزام بقضايا المجتمع :

من متطلبات ثقافة الرفض عند المؤسسات التربوية تسليح الطفل بالوعي الاجتماعي الذي يجعله يقظاً وحذراً من الاخطار والتحديات المحيطة به ، ومستوعباً

لدوره الاجتماعي وادوار الآخرين ، ومدركا لطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه والمرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها ، وملماً بالمشكلات التي يعاني منها المجتمع ، وكيفية التعامل معها وطرق حلها والقضاء عليها ، وقدرته على الفرز الصحيح بين القيم الايجابية كالتعاون والثقة العالية بالنفس والشجاعة والبطولة والصراحة والصدق والايمان الخ والقيم السلبية كحب الذات والفردية والانغزالية والانطواء على الذات ، مع اعتماد الايجابية في السلوك والتعامل مع الآخرين والتخلي عن القيم السلبية ونبذها وادانتها (٥٢) .

ويعتقد "ماكس فيبر" ان الوعي الاجتماعي الذي يتجسد في الفكر والدين والعلم والفلسفة والمثل والمعتقدات هو الذي يحدد الواقع الاجتماعي للفرد والمجتمع ، في حين يعتقد كل من "أ.ج.توني وكارل منهايم وادوارد وشيلز" بان هناك علاقة بين الوعي الاجتماعي والواقع الاجتماعي ، بمعنى ان المادة مكمل للروح والروح مكمل للمادة (٥٣) .

ومن خلال التنشئة الاجتماعية والسياسية يصبح الفرد واعياً ومدركا للأهداف التي يؤمن بها النظام الاجتماعي ، اما الافراد الذين ينحرفون عن القيم الاصلية بسبب السلبات والعثرات التي جابهتهم خلال مراحل تنشئتهم فلا يمكن الاعتماد عليهم في تثبيت أسس النسق السياسي للمجتمع ، وتحقيق اهدافه وطموحاته ، فالأسرة مثلاً من المؤسسات البنوية التي تؤثر في افكار ومواقف وسلوكية واخلاقية الطفل ، فهي تهتم بتنشئته تنشئة اخلاقية واجتماعية ووطنية. اذ تزرع عنده منذ البداية الخصال الاجتماعية التي يقرها المجتمع ، وتصب في عروقه النظام القيمي ، وتوجه سلوكه في خط معين يتماشى مع مقاييس المجتمع ، بالإضافة الى ذلك فإن الأسرة هي من العوامل المهمة في تكوين الوعي الاجتماعي للطفل ، فاذا كانت الأسرة تتمتع بمستويات اقتصادية واجتماعية وثقافية رفيعة فان وعيها الاجتماعي ودرجة مسؤوليتها تجاه المجتمع تكون ناضجة ومتطورة ، وهنا لا يمكن للقوى الخارجية ان تعتدي عليها ، اما اذا كانت الأسرة متخلفة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً فإن وعيها الاجتماعي سينعكس سلباً على ابنائها أولاً وعلى ابنائها المجتمع ثانياً (٥٤) .

٢- التوافق مع الذات :

التوافق حالة من الانسجام بين الفرد وذاته وبينه وبين بيئته ويتجلى التوافق في قدرة الفرد على ارضاء اغلب حاجاته ، وتصرفه تصرفاً مرضياً ازاء مطالب البيئة المادية والاجتماعية ، ويتضمن التوافق قدرة الفرد على تغيير سلوكه وعاداته عندما يواجه موقفاً جديداً او صراعاً نفسياً ، تغييراً يناسب هذه الظروف الجديدة ، فإن عجز عن اقامة هذا الانسجام بينه وبين ذاته وبيئته قيل انه سيء التوافق مع الذات ، او معتل الصحة النفسية ، ويبدو سوء التوافق في عجز الفرد عن حل مشكلاته اليومية على اختلافها عجزاً يزيد على ما ينتظره الآخرون منه ، او ما ينتظره من نفسه ،

ويكون سيء التوافق اما ثائراً على المجتمع او هارباً منه او عالة عليه ، او عاجزاً عن مسابقتها (٥٥).

ويمكن ان يكون الفرد قريباً او بعيداً عن ذاتيته الجوهرية كقربه او بعده عن الاشخاص الآخرين ، وبوسعنا ملاحظة ظاهرة داخل الفرد كونه بعيداً عن نفسه الحقيقية او قريباً منها او مغترباً عنها ، بمعنى آخر ان الفرد قد يكون صادقاً مع نفسه او كاذباً عليها أي ان سلوكه ينحرف عن مبادئه الحقيقية او يتطابق معها ، فالعصر الديمقراطي الذي نعيش فيه قد قلل مدى المسافات الاجتماعية التي تفصل بين الافراد ، وفي الوقت نفسه قد اكد على اهمية المسافة المحيطية بدرجة كبيرة ، فأغتراب الفرد الذي هو ظاهرة لا يمكن الهرب منها في اجواء حضارية معينة انما يعيد حرية التعبير الذاتي للفرد وعندما يشعر الفرد باستعادة ذاتيته وامتلاك شخصيته الحقيقية كما يحصل للمتصوفين او الفنانين فان المسافة داخل الشخصية تتلاشى شيئاً فشيئاً الى ان تنعدم (٥٦).

يقول الدكتور " يوسف مراد " في هذا الصدد " ان الشخصية بمعناها الكامل تقتضي وجود الشعور بالذات او الاقتراب من الذات ، فالشخصية ليست موهبة طبيعية في الانسان يرثها كاملة في جملة ما يرث من آبائه واجداده ، انها في الواقع اكتسابية تنشأ في المجتمع ولولا المجتمع لما نشأت (٥٧) .

٣- التحلي بالشجاعة في القول والفعل :

تقع على عاتق فئة المثقفين ، وهي الفئة الاجتماعية التي تشكل اقلية في أي مجتمع من المجتمعات ، احداث التغييرات الاساسية الضرورية ، فالمثقف ولاي مجال اختصاصي انتمى للطب او علم النفس او علم الاجتماع او الهندسة لابد ان يكون اداة فاعلة في عملية التغيير (٥٨)، من خلال تدريب النشء الجديد على قيم الشجاعة في القول والفعل ، ليتعلموا رفض السوء من الامور ولو اتفق مع مصالحهم الذاتية ، وتدريبهم على كل صفات الشرف ، من اعتداد بالنفس واحترام لها ، وشعور عميق بأداء الواجب ، مهما كلفهم من نصب ، وحماية لما في ذمتهم من اسرة وامه ودين ، وبذل الجهد في ترقيتها والدفاع عنها ، والاعتزاز بها ، واباء الضيم لانفسهم ولها ، وتربيتهم على وضع الامور مواضعها ، ورفض في إباء ان يكونوا يوماً ما عوناً لمن طلب حجة بدون وجه حق ، فاذا اجبروا على ذلك قالوا (لا) بملء فيه ، فكانت (لا) منهم خيراً من الف نعم ، وكانت (لا) منهم وساماً تدل على شجاعتهم ، ودرسا للناشئين يتعلمون منهم الشجاعة ، يقتلون المسائل بحثاً ودرسا ويعرضون فيها موضع الصواب والخطأ ، ومقدار النفع والضرر ، ثم يقدمون في حزم على عمل ما رأوا واعتقدوا ، لا يعيئون بتصفيق المصفيقين ، ولا بزم القادمين ، انما يعيئون بشيء واحد هو صوت الضمير ونداء الشعور (٥٩) .

٤- مواجهة الذات ونقدها :

يصح على مجتمعنا العربي المثل السائر " يرى القشة بعين غيره ولا يرى الجسر بعينه " وفي ذلك ابلغ الخطر واتجاه نحو الضياع والخسران . اذ ان نسيان (او تناسي) الفرد (او المجتمع) لمواضع الضعف والسوء فيه لهو ايسر عليه من محاسبة ذاته ، والحقيقة تقال ليس اسهل من نقد الآخرين ومن القاء اللوم عليهم وتحميلهم التبعات والمسؤوليات ، انما مواجهة الذات ومحاسبة النفس وتحمل التبعات تبقى عملية بغاية العسر وبعد المنال ، ومع ذلك لا يصبح الفرد انساناً بالفعل ان لم يسلك هذا المسلك العسير (أي مجابهة الذات ونقد النفس) مهما تطلب ذلك من جهد ومشقة ، لانه المنطلق الوحيد الكفيل باحداث التقدم والنجاح ، وهذا السلوك ميزة من الميزات التي يتسم بها العقل الذي لا يكتفي بنقد ما حوله ، وتبيان العلل ومواضع الضعف عند الآخرين بل هو ابدأ مستعد لان يرتد الى ذاته من خلال وقفة ضميرية تحاسب الذات على ما قامت به، فيحكم اذ ذاك على موقفه اذا كان سليماً فيسلكه مستقبلاً او ناقصاً فيكمله ويعدله او خاطئاً فيغيره (٦٠) .

فالذات البشرية هي مرآة الغير ، اذ تنعكس على صفحاتها مشاعر الجماعة المحيطة بها وليس يعني هذا بان هذه المرآة صافية او مضبوطة انما في الواقع مرآة تحتوي على كثير من العقد والتشوهات والالتواءات ، فقد يكون احد الاطفال مريضاً او ذا عاهة او نحيلاً واقعاً تحت رحمة اقرانه الاطفال وموضعاً لاستهانتهم واذاهم ، فان مرآة ذاته تتكون آنذاك وفيها عقد عميقة من الصعب عليه ان يزيلها عند الكبر ، او ان يقيمها تقيماً ايجابياً لان الجماعة الاولى التي نشأ الطفل في كنفها واعني بها افراد الاسرة والجيران واصدقاء الطفولة وقران المدرسة تصب شخصية الطفل في قالب يصعب بعد ذلك ان تبدله او تغيره ، فالطفل يفتح عينه للحياة ويجد انه قد اعطي منزلة عالية او واطنة من قبل اولئك الذين يحيطون به فهم يصرون عليه حكماً حسناً او قبيحاً ويظلون يكررون عليه هذا الحكم بحيث يأخذ الطفل يتصور ذاته طبقاً لما تتصوره الجماعة المحيطة به ، وعلى هذا تبدأ شخصية الطفل بالنمو تراكمات هذه النواة المركزية ، نواة الذات الناشئة (٦١) .

التوصيات

كما تم بيانه من ان ثقافة التمكين يمكن ان تكون خطوة باتجاه حل اشكالية التسكين التي تعتمدها التنشئة الاجتماعية العربية ، ومن اجل ان نضع ثقافة التمكين موضع التنفيذ نوصي بالآتي :

- ١- تنشئة الاطفال على المناقشة وابداء الرأي سواء كان ذلك في البيت او في المدرسة .
- ٢- تعليم الاطفال كيفية البحث عن الحقائق لاكتشافها بانفسهم دون اعطائهم الحقائق جاهزة .

- ٣- احياء النزعة التربوية الحرة عند الاطفال من خلال نهج تربوي حقيقي يبعث في النفوس حب الحرية وعشق المعرفة ، وبناء العقول التي تميل الى مناحي الابتكار والابداع .
- ٤- تعزيز الوعي الاجتماعي عند الاطفال ليكونوا مدركين لطبيعة المجتمع الذي يعيشون فيه والمرحلة الحضارية التاريخية التي يمرون بها .
- ٥- تدريب الاطفال على كيفية تقليل المسافة التي تفصل بينهم وبين ذواتهم بحيث يكونوا صادقين مع انفسهم ، وان لا يكون سلوكهم غير متطابق مع مبادئهم الحقيقية .
- ٦- ضرورة تدريب الاطفال على التحلي بالشجاعة في القول والفعل ليتعلموا رفض السيء من الامور ولو اتفق مع ميولهم وقبول الحسن ولو خالف اهواءهم وعارض ميولهم .
- ٧- ضرورة تعليم الاطفال كيفية مواجهة ذواتهم ونقدها ، مهما تطلب ذلك من جهد ومشقة .
- ٨- تبصير الاطفال بالقيم والممارسات الايجابية لا سيما قيم المسؤولية الاجتماعية وقيم العلم والبحث العلمي والشجاعة ، والتحذير من القيم السلبية والضارة .
- ٩- اعتماد الاساليب التربوية الناجحة للاطفال كالرعاية المكثفة والموازنة بين اللين والشدّة واستخدام اساليب الثواب والعقاب والابتعاد عن اساليب الاهمال والتفرقة والتدليل .
- ١٠- تعزيز النزعة العقلية العلمية في شخصية الطفل ، لان هذه النزعة هي التي تجعله يفسر الظواهر بأسباب موضوعية تخضع للدراسة والتجربة .
- ١١- تربية الطفل على عدم التزمّت بالرأي وتعويده على قبول الرأي الاخر حتى وان خالف اهواءه وميوله .

المصادر العلمية

- ١- الحسن ، احسان محمد (د) ، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية ، مجلة شؤون عربية ، حزيران ، ١٩٩٩ ، العدد ٩٨ ، ص ٥٠-٥١ .
- ٢- الحسن ، احسان محمد (د) ، النظريات الاجتماعية المعاصرة ، مطبعة الرسائل ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٥٧ .
- ٣- مجموعة مؤلفين ، المنجد في اللغة والاعلام ، ط ٣٠ - دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٣٤٢ .
- ٤- المصدر نفسه ، ص ٧٧٠ .
- ٥- وطفة ، علي أسعد (د) ، بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص ٢١٩ .

- ٦- الوردي ، علي (د) ، شخصية الفرد العراقي ، لا يوجد مكان نشر ، وتاريخ نشر ، ص٤ - ٣٢ .
- ٧- الحسن ، إحسان محمد (د) ، النظريات الاجتماعية المعاصرة ، مصدر سابق ، ص٢٥٧ - ٢٥٨ .
- ٨- وطفة ، علي أسعد (د) ، بنية السلطة وأشكالية التسلط التربوي ، مصدر سابق ، ص٢١٩ - ٢٢١ .
- ٩- فرح ، محمد سعيد (د) ، الطفولة والثقافة والمجتمع ، دار المعارف الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص١٥٥ .
- ١٠- نصار ، كريستين (د) مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل ، ج ٥ ، دار جروس برس ، طرابلس - لبنان ، ١٩٩٣ ، ص١٢٣ .
- ١١-العمر ، معن خليل (د) ، علم اجتماع الأسرة ، دار الشروق ، عمان ١٩٩٤ ، ص١٢٥ .
- ١٢- وطفة ، علي أسعد (د) ، بنية السلطة وأشكالية التسلط التربوي ، مصدر سابق ، ص٥٨ .
- ١٣-قناوي ، هادي (د) ، الطفل تنشئته وحاجاته ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩١ ، ص٣١٧ .
- ١٤-حجازي ، مصطفى وآخرون ، ثقافة الطفل العربي بين التغريب والاصالة ، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية ، الرباط ١٩٩٠ ، ص٣٨ .
- ١٥-الوردي ، علي (د) ، شخصية الفرد العراقي ، مصدر سابق ، ص٢٦ .
- ١٦-شرابي ، هشام (د) ، النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩١ ، ص٦٢ .
- ١٧-نصار ، كريستين (د) ، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل ، مصدر سابق ، ص١٢٥ .
- ١٨-رضا محمد جواد (د) ، العرب والتربية والحضارة ، مركز دراسات ، الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ص٢٣٤ .
- ١٩-الكواكبي ، عبد الرحمن ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، دار المدى ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص٨٨-٩٤ .
- ٢٠- وطفة ، علي اسعد (د) ، بنية السلطة وأشكالية التسلط التربوي ، مصدر سابق ، ص١٨٥ .
- ٢١-نصار ، كريستين (د) ، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل ، مصدر سابق ، ص١٣١ .
- ٢٢-الحسن ، احسان محمد (د) ، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص٥١ .
- ٢٣-نصار ، كريستين (د) ، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل مصدر سابق ، ص١٢٦ - ١٣٣ .

- ٢٤- وطفة ، علي اسعد (د) ، بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي ، مصدر سابق ، ص ٤١ .
- ٢٥- امين ، احمد (د) ، فيض خاطر ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٢٥٤ .
- ٢٦- نصار ، كريستين (د) ، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .
- ٢٧- رضا ، محمد جواد (د) ، العرب والتربية والحضارة ، مصدر سابق ، ص ٢٣٣ .
- ٢٨- قناوي ، هدى محمد (د) ، الطفل تنشئته وحاجاته ، مصدر سابق ، ص ٨٤ .
- ٢٩- وطفة ، علي سعد (د) ، بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي ، مصدر سابق ، ص ٣٣ .
- ٣٠- نصار ، كريستين (د) ، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل مصدر سابق ، ص ١٢٣ .
- ٣١- قناوي ، هدى محمد (د) ، الطفل تنشئته وحاجاته ، مصدر سابق ص ٨٧ .
- ٣٢- مختار ، وفيق صفوت ، الاسرة واساليب تربية الطفل ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٠٧ .
- ٣٣- قناوي ، هدى محمد (د) ، الطفل تنشئته وحاجاته ، مصدر سابق ، ص ٨٨ .
- ٣٤- همشري ، عمر احمد (د) ، التنشئة الاجتماعية للطفل ، دار صفاء عمان ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٣٣ .
- ٣٥- نفس المصدر السابق ص ٣٣٤ .
- ٣٦- قناوي ، هدى محمد (د) ، الطفل تنشئته وحاجاته ، مصدر سابق ، ص ٩٠ .
- ٣٧- مختار ، وفيق صفوت ، الاسرة واساليب تربية الطفل ، مصدر سابق ، ص ١٧٦ .
- ٣٨- همشري ، عمر احمد (د) ، التنشئة الاجتماعية للطفل ، مصدر سابق ، ص ٣٣٥ .
- ٣٩- قناوي ، هدى محمد (د) ، الطفل تنشئته وحاجاته ، مصدر سابق ، ص ٩٤ .
- ٤٠- نفس المصدر السابق ، ص ٩٦ .
- ٤١- همشري ، عمر احمد (د) ، التنشئة الاجتماعية للطفل ، مصدر سابق ص ٣٣٥ .
- ٤٢- وطفة ، علي اسعد (د) ، بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي ، مصدر سابق ، ص ٣٨ .
- ٤٣- مختار ، وفيق صفوت ، الاسرة واساليب تربية الطفل ، مصدر سابق ، ص ٢٣٧ .
- ٤٤- وطفة ، علي اسعد (د) ، بنية السلطة واشكالية التسلط التربوي ، مصدر سابق ، ص ٥٣ .
- ٤٥- نصار ، كريستين (د) ، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل ، مصدر سابق ، ص ١٢٢ .
- ٤٦- شرابي ، هشام ، النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

- ٤٧-نصار ، كريستين (د) ، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل ، مصدر سابق ، ص١٤٧ .
- ٤٨-ذياب ، فوزية (د) ، نمو الطفل وتنشئته بين الاسرة ودور الحضانة ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص١٠٤ .
- ٤٩-الوردي ، شخصية الفرد العراقي ، مصدر سابق ، ص٢٢ .
- ٥٠-امين احمد (د) ، فيض الخاطر، ج٨ ، مصدر سابق ، ص٦٢ .
- ٥١-الوردي ، علي (د) ، شخصية الفرد العراقي ، مصدر سابق ، ص٤٠ .
- ٥٢-الحسن ، احسان محمد (د) ، دور الاسرة العربية في تنمية المسؤولية الاجتماعية ، مصدر سابق ، ص٥٤ .
- ٥٣-الحسن ، احسان محمد (د) ، موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٩٩ ، ص٦٦٨ .
- ٥٤-الحسن ، احسان محمد (د) ، علم الاجتماع السياسي ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٤ ، ص٢٢٥-٢٣٧ .
- ٥٥-راجح ، احمد عزت (د) اصول علم النفس ، دار المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص٥٧٨ - ٥٧٩ .
- ٥٦-الحسن ، احسان محمد (د) ، موسوعة علم الاجتماع ، مصدر سابق ، ص٥٩١ .
- ٥٧-الوردي ، علي (د) ، شخصية الفرد العراقي ، مصدر سابق ، ص١٨ .
- ٥٨-نصار ، كريستين (د) ، مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل ، مصدر سابق ، ص١٣٨ .
- ٥٩-امين ، احمد (د) ، فيض الخاطر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص٢٥٤ .
- ٦٠-نصار ، كريستين (د) ، مواقف الاسرة العربية من اضطراب الطفل مصدر سابق ، ص١٣٣ .
- ٦١-الوردي ، علي(د)، شخصية الفرد العراقي، مصدر سابق ، ص٢٥-٢٦ .